المؤتمر القرآني الدولي الثاني
في هدايات القرآن الكريم

تعظيم الله تعالى
في هدايات القرآن الكريم

تنظيم جامعة أفريقيا العالمية بالشراكة مع كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى

عنوان البحث

دلالات تعظيم الله سبحانه وتعالى وآثارها التربوية من خلال آيات النعم

اسم الباحث

عبد المولى منصور زيدان

عبد المولى منصور زيدان

دلالات تعظيم الله تعالى

وآثارها التربوية من خلال آيات النّعم

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين سيِّدنا محمَّد وعلىٰ آله وصحبه، وسلَّم تسليمًا كثيرًا،،

وبعد؛ فإنَّ نِعَم الله علىٰ خلقه كثيرة وعديدة، سواء كانت هذه النعم حسية أو معنوية لا يمكن حصرها. والمتأمل في الآيات القرآنية بتصريحاتها ومضامينها يجدها ملآىٰ بهذه النعم التي تستحق منّا وقفة جادة علىٰ مضامينها وأبعادها، لأننا مطالبون بذلك، فالله سبحانه وتعالىٰ يقول: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء]، ولم يقل: أفلا ينظرون إلىٰ القرآن، فالتدبر القلبي يتطلب منّا جهدا للاستنباط والتنقيب في كتاب الله، والوقوف علىٰ نعمه -سبحانه وتعالىٰ- فنعم الله محكومة بالدوام والاستزادة وبالنقصان والزوال، فتزول وتتلاشىٰ بالمعصية، وتزيد وتدوم بالحمد والثناء عليه سبحانه وتعالىٰ. ولكون ذلك من أفضل العبادات وأظهر ملامح التعظيم الإلهي كان موضوعي (**دلالات تعظيم الله -سبحانه وتعالىٰ- وآثارها التربوية من خلال آيات النعم**).

وتهدف الورقة إلىٰ بيان معنىٰ تعظيم الله بالوقوف علىٰ آيات النعم متتبعا المنهج الاستقرائي الاستنباطي.

وقد اقتضت خطة البحث أن يقسم إلىٰ أربعة مطالب:

المطلب الأول: الدلالات المعرفية لتعظيم الله -تعالىٰ- وأثرها التربوي.

المطلب الثاني: الدلالات السلوكية لتعظيم الله -تعالىٰ- وأترها التربوي.

المطلب الثالث: الدلالات الوجدانية والأخلاقية لتعظيم الله -تعالىٰ-وأثرها التربوي.

الخاتمة والنتائج،،

المطلب الأول: الدلالات المعرفية لتعظيم الله -تعالى- وأثرها التربوي

الناظر في القرآن الكريم والمتأمل فيه، يجد العديد من الآيات تحث علىٰ تعظيم الله تعالىٰ سواء كانت ضمنًا أو تصريحًا، وذلك لأن الله تعالىٰ لم يخلق الخلق ولم يرسل الرسل ولم ينزل الكتب؛ إلا من أجل تحقيق غاية من أسمىٰ الغايات، ألا وهي عبادته سبحانه وتحكيم شرعه، ولا يمكن أن تصل العبادة إلىٰ أعلىٰ كمالها إلا بتعظيم المعبود؛ فقد ذكر المناوي في تعريف العبادة أنها فعل المكلف علىٰ خلاف هوىٰ نفسه تعظيمًا لربه. وقيل -أي: العبادة- هي تعظيم الله وامتثال أوامره[1].

فروح العبادة وأصلها، تعظيم الله جل وعلا، هو جلالها وجمالها وبهاؤها، وأكثر الناس معرفة بربهم أشدهم له تعظيمًا. وقد أمر سبحانه بتعظيمه فقال تعالىٰ: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤﴾ [الواقعة]. والتعظيم في اللغة كما قال الفيروزابادي في (القاموس المحيط): «التعظيم من العِظم بكسر العين خلاف الصِغر، وعظَّمه تعظيمًا وأعظمه أي: فخَّمه وكبره، واستعظمه أي: رآه عظيمًا»[2]. وقال الرَّازي في (مختار الصحاح): «عظُم الشيء أي: كبُر، فهو عظيم»[3]. وقال ابن منظور في (لسان العرب): «العظيم الذي جاوز قدره، وجلَّ عن حدود العقول»[4]. والتعظيم يعني في الاصطلاح شكر وثناء الله سبحانه وتعالىٰ، ويتأتىٰ ذلك بالطاعة إخلاص العبادة لله. والآيات التي تخاطب العقل في القرآن الكريم عديدة تدعوه للتأمل والتفكر والنظر فيمن حوله من النِّعم، كما توجهه لأمور معينة تحثُّه علىٰ تعظيم الله، والتي أذكر منها:

١- تحقيق العبودية الكاملة لله تعالىٰ؛ فالعبد كلما تقرب إلىٰ ربه بأنواع العبادات وأصناف القرُبات عظُم في قلبه أمر الله؛ فتراه مسارعًا لفعل الطاعات مبتعدًا عن المعاصي والسيئات. قال شيخ الإسلام: «وكلما ازداد العبد تحقيقًا للعبودية ازداد كماله وعلت درجته»[5].

---

(١) التعريفات (١٨٩).

(٢) القاموس المحيط (١٤٧٠).

(٣) مختار الصحاح (١٨٥).

(٤) لسان العرب (١٢/ ٤٠٩).

(٥) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ١٧٦).

٢- التدبر الدقيق للقرآن الكريم وما فيه من حِكم وأحكام، والنظر فيما فيه من الدروس. قال الشيخ عبد الرحمن بن قاسم صاحب (حاشية الروض) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بل قراءة آية بتدبر وتفهُّم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهُّم، وأنفع للقلب وأدعىٰ إلىٰ حصول الإيمان وذوق حلاوة الإيمان، وهكذا قراءة النبي ﷺ والسلف من بعده، حتىٰ إنه ليردد الآية إلىٰ الصباح، وهذا هو أصل صلاح القلب، ومن مكائد الشيطان تنفير عباد الله من تدبر القرآن لعلمه أن الهدىٰ واقع في التدبر»[(١)].

٣- التَّفكر في خلق السَّماوات والأرض؛ فإن الناظر فيها ليدهش من بديع صنعها وعظيم خلقها واتساعها؛ ومع هذا فهو لا يرىٰ فيها شقوقًا ولا فطورًا، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [المُلك].

٤- النظر في حال مَن غَبَرَ؛ فلقد عاش علىٰ هذه الأرض أقوام وشعوب أعطاهم الله بسطة في الجسم وقوة في البدن لم يُعْطِها أمة من الأمم، ولكنها كفرت بالله وكذبت بالرسل؛ فأذاقها الله لباس الجوع والخوف، ودمرهم تدميرًا؛ فها هم قوم عاد الذين قالوا: من أشد منا قوة؟! أهلكهم الله ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾﴾ [الحاقة].

٥- الدُّعاء: وهو أنفع الأدوية وأقوىٰ الأسباب متىٰ ما حضر القلب وصدقت النية؛ فإنَّ الله لا يخيِّب مَن رجاه، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة]. هذه دعوة القرآن للإنسان بأن يتأمل ويتفكر ويشكر الله -تعالىٰ- علىٰ نعمه، فالشكر والحمد والثناء والتفكر والتأمل كله تعظيم لله، وهنا سأتناول نماذج من مفصل القرآن من (سورة التغابن)، والمتأمل في (سورة التغابن) يجدها قد بدأت بأمر عظيم وأنها تتحدث عن عظمة الباري سبحانه، وعن مظاهر قدرته في الكون وفي خلق الإنسان، وحكمته في تقدير الأمور، وقدرته علىٰ بَعْث الناس وإحيائهم، كما نُلاحظ أن السورة ركزت في آياتها علىٰ جانبين: **الأول: دلالات عظمته سبحانه ومظاهرها، واستخدام الألفاظ التي تدلُّ علىٰ هذه العظَمة. الثاني: دلالات رحمته سبحانه بالمؤمنين ومظاهرها.**

---

(١) حاشية الروض المربع (٢/ ٢٠٧).

أولا: دلالات عظمة الله وقدرته وحكمته

قال الأصبهاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن أسمائه تعالىٰ: العظيم؛ العظمة صفة من صفات الله، لا يقوم لها خلق، والله تعالىٰ خَلَق بين الخلق عظمة يُعظِّم بها بعضُهم بعضًا، فمِن الناس من يُعظَّم لمال، ومنهم من يُعظَّم لفضل، ومنهم من يُعظَّم لعلم، ومنهم من يُعظَّم لسلطان، ومنهم من يُعظَّم لجاه، وكل واحد من الخلق إنما يُعظَّم لمعنىٰ دون معنىٰ، والله عز وجل يُعظَّم في الأحوال كلها، فينبغي لمن عرَف حق عظمة الله ألَّا يتكلم بكلمة يكرهها الله، ولا يرتكب معصية لا يرضاها الله؛ إذ هو القائم علىٰ كل نفس بما كسبتْ»[1].

ودلالة عظمة الله وقدرته وحكمته في السُّورة نجدها في الآتي:

١- افتتاح السورة بتسبيح وتمجيد كل ما في السماوات والأرض له؛ إذ الكون كله خاضع مُتَّجه إليه سبحانه، فهو مالك الملك ذو الجلال والإكرام، لا ندَّ له في مُلْكه، ولم يكن له كفوًا أحد؛ ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١﴾ [التغابن].

٢- ومن عظيم قدرته خلق السماوات والأرض بالحكمة البالغة والإتقان المشاهَد، وخلْق البشر في أحسن تقويم وأجمل صورة، فهو تعالىٰ لم يخلقْ شيئًا عبثًا، ولم يترك أحدًا سُدًى، الكون كله بسماواته وأرضه وخلقه خُلقوا بحكمة بالغة؛ ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣﴾ [التغابن].

٣- استغناؤه -سبحانه- عن الجميع، فلا تنفعه طاعةُ الطائعين، ولا تضرُّه معصية العاصين، ولن يؤثِّر في مُلْكه كفرُ الكافرين؛ ﴿وَٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ﴾ [التغابن: ٦].

٤- وبيَّن -سبحانه- بأنه لا يُعجزه شيء، وكل شيء عنده يسير، ومِن ذلك إحياء الموتىٰ، وبعثهم يوم القيامة، فلاحظنا في الآيات أن الله أمر رسوله ﷺ أن يقول لمنكري البعث: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧﴾ [التغابن].

٥- كلّ ما يجري في هذا الكون هو من تقديره وبعلمه -عزَّ وجلَّ-، فهو الذي قدَّر الأمور، وعلم هواجس الصدور، ما مِن صغيرة ولا كبيرة ولا خير ولا شرٍّ إلا في

(١) يُنظر: الحُجّة في بيان المَحَجّة (١/ ١٤١-١٤٢).

كتاب مبين، وبتقدير العزيز العليم؛ ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [التغابن: ١١]، ثم يمتحن الإنسان ليرىٰ صبره عند المصائب، وشكره عند النِّعَم، فهو الذي يرزق المال والولد، ثم يُحذِّر أن يكونوا فتنةً بمنع الإنسان عن طاعة الله والإنفاق في سبيله؛ ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [التغابن].

٦- ثمّ يختم السورة كما بدأها -سبحانه- ببيان عظمته وسَعة علمه وعزَّته وحكمته، «ويختم هذه الجولة بعد هذا الإيقاع العجيب بصفة الله التي بها الاطلاع والرقابة علىٰ القلوب؛ ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [التغابن]، فكلّ شيء مَكشوف لعلمه، خاضعٌ لسلطانه، مُدبَّرٌ بحكمته؛ كي يعيش الناس وهم يشعرون أن عين الله ترعاهم، وسلطانه عليهم، وحكمته تُدبِّر الأمر كله، حاضره وغائبه، ويكفي أن يستقرَّ هذا التصوُّر في القلوب؛ لتتقي الله وتُخلِص له وتستجيب».

٧- وإذا تأمَّلنا ختام كثير مِن آيات السورة نرىٰ أنها خُتمتْ بما يدل علىٰ هذا المقصد؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾، و﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾﴾، و﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾﴾، و﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾﴾، و﴿وَٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾﴾، و﴿وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾، و﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾﴾، و﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾، و﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾.

ثانيًا: دلالات رحمته سبحانه بالمؤمنين

بعد أن كان المقصدُ الأعظم مِن (سورة التغابن) هو بيان عظمة الله وقدرته، فقد تَخلَّل بعض الآيات في السورة إشارات منه سبحانه إلىٰ رحمته بعباده المؤمنين الذين آمنوا به وبقضائه، وبرسوله ﷺ وعملوا الطاعات، فخفَّف عنهم، ووعدَهم بمضاعفة الأجر وتكفير السيئات، وقد تجلَّىٰ هذا المقصد مِن خلال:

١- أنَّه لمّا كان لكل عبد ذنوب وتقصير، فقد وعد -سبحانه- كل مَن يؤمن به إيمانًا صادقًا، ويقرن هذا الإيمان بالعمل الصالح الخالص لوجه الله أنه سيغفر له ذنوبه ويتجاوز عن سيئاته، فالحسنات يُذهبن السيئات، كما وعده بالفوز العظيم والسعادة الأبديَّة؛ فقال: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾ [التغابن]، وكل هذا تفضُّلًا وتكرُّمًا منه سبحانه ورحمةً بالمؤمنين من عباده.

٢- وعد مَن آمن به وسلَّم بقضائه أن يهدي قلبَه للحق، وأن يُريح الله باله، ويُنزل الطُّمَأْنينة علىٰ نفسه، وهذا غاية المطلوب عند الإنسان في الدنيا؛ قال سبحانه: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾[التغابن].

٣- أمر -سبحانه- المؤمنين بتقواه وطاعته، كلٌّ حسب استطاعته وقدْر جهده، فمِن رحمته بعباده أنه لم يكلفْ أحدًا فوق طاقته، ومِن رحمته جعل هذا الدين دين يُسرٍ لا دين عُسرٍ وتنفيرٍ؛ فقال: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾ [التغابن]، فما أرحمَه بعباده سبحانه! فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبيِّ ﷺ، قال: «**دعُوني ما تركتُكُم، إنما هَلَكَ مَن كان قبلَكم بسؤالهم واختلافهم علىٰ أنبيائهم، فإذا نهيتُكم عن شيءٍ فاجتنبُوه، وإذا أمرْتُكم بأمرٍ فأْتوا منه ما استطعْتُم**»(١).

٤- ومِن رحمته وكرمه أنه يُضاعف للمُنفقين الأجر والثواب أضعافًا كثيرة، يشكرهم فيُعطي الكثير علىٰ القليل، «ومن ذا الذي لا يربح هذه الفرصة التي يقرض فيها مولاه، وهو يأخذ القرض فيُضاعفه ويغفر به ويشكر المقرض، ويحلم عليه حين يُقصِّر في شكره وهو الله؛ ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾[التغابن]، وتبارك الله ما أكرمَه! وما أعظمَه! وهو يُنشئ العبد، ثمّ يرزقه، ثم يسأله فضلَ ما أعطاه قرضًا يُضاعفه، ثمّ يشكر لعبده الذي أنشأه وأعطاه»، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الساعي علىٰ الأرْمَلة والمسكين كالمجاهدِ في سبيل الله أو القائمِ الليل الصائمِ النهار**»(٢)، وعن أبي مسعود الأنصاريِّ، قال: جاء رجلٌ بناقة مخطُومة، فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «**لكَ بها يومَ القيامة سبعمائة ناقة كلُّها مخطُومةٌ**»(٣)، وهكذا تتجلَّىٰ رحمة الله بعباده المؤمنين، والتي ذُكر طرفٌ يسيرٌ منها في هذه السورة، فله الحمد والشكر والثناء الحسَن.

□

(١) صحيح البخاري (٧٢٨٨).
(٢) صحيح البخاري (٥٣٥٣).
(٣) صحيح مسلم (١٨٩٢).

جاءت النصوص الشرعية من الكتاب والسنة في بيان فضل تعظيم الله؛ فمنها:

١- قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [المائدة].

أي: ﴿ءَامَنُوا۟﴾ صدقوا. ﴿وَٱتَّقَوْا۟﴾ أي: الشرك والمعاصي. ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ﴾ اللام جواب (لو). وكفَّرنا: غطينا، وقد تقدم. وإقامة التوراة والإنجيل: العمل بمقتضاهما، وعدم تحريفهما، ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾ أي: القرآن، وقيل: كتب أنبيائهم. ﴿لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ قال ابن عبَّاس وغيره: يعني: المطر والنبات. وهذا يدلّ علىٰ أنهم كانوا في جدب. وقيل: المعنىٰ: لَوَسَّعنا عليهم في أرزاقهم، ولأكلوا أكلًا متواصلًا.

وذِكْرُ فوق وتحت للمبالغة فيما يُفتح عليهم من الدُّنيا، ونظير هذه الآية: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾ [الجن]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف]، فجعل -تعالىٰ- التُّقىٰ من أسباب الرِّزق، كما في هذه الآيات، ووعد بالمزيد لمن شكر، فقال: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

ثمّ أخبر -تعالىٰ- أنَّ منهم مقتصدًا، وهم المؤمنون منهم، كالنجاشي وسلمان وعبد الله بن سلام، اقتصدوا فلم يقولوا في عيسىٰ ومحمَّد -عليهما الصلاة والسلام- إلَّا ما يليق بهما. وقد: أراد بالاقتصاد قومًا لم يؤمنوا، ولكنهم لم يكونوا من المؤذين المستهزئين، والله أعلم. والاقتصاد الاعتدال في العمل، وهو من القصد، والقصد: إتيان الشيء، تقول: قصدته، وقصدت له، وقصدت إليه بمعنًى. ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ أي: بئس شيء عملوه، كذَّبوا الرُّسل، وحرَّفوا الكتب، وأكلوا السُّحت[1].

(١) الجامع لأحكام القرآن (٦/ ٢٤١-٢٤٢).

٢- وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ [إبراهيم].

فهذه الآية وكأنّها معادلة، فالنِّعمة من الله يهديها لعبده بشكره وتعظيمه له، كما يتوَعَّد له العذاب الشَّديد، أي: لئن شكرتم إنعامي لأزيدنَّكم من فضلي.

الحسن: لئن شكرتم نعمتي لأزيدنكم من طاعتي.

ابن عباس: لئن وحَّدتم، وأطعتم لأزيدنَّكم من الثَّواب.

والمعنىٰ متقارب في هذه الأقوال، والآية تنصّ في أنَّ الشُّكر سبب المزيد.

ويرىٰ العلماء في معنىٰ الشكر: وسُئل بعض الصُّلحاء عن الشكر لله، فقال: ألَّا تتقوىٰ بنعمه علىٰ معاصيه.

وحُكي عن داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنَّه قال: أي ربِّ، كيف أشكرك، وشكري لك نعمةٌ مجدَّدةٌ منك عليَّ. قال: يا داودُ، الآن شكرتني.

قلتُ: فحقيقة الشكر علىٰ هذا: الاعترافُ بالنِّعمة للمنعم، وألَّا يصرفها في غير طاعته، وأنشد الهادي وهو يأكل:

أَنَـالَـكَ رِزْقَـهُ لِـتَـقُـومَ فِـيـهِ ... بِطَـاعَتِـهِ وَتَشْـكُرَ بَعْضَ حَقِّـهْ

فَلَمْ تَشْـكُرْ لِنِعْمَتِـهِ وَلَكِنْ ... قَوِيـتَ عَلَىٰ مَعَـاصِـيـهِ بِرِزْقِـهْ

فغُصَّ باللُّقْمَة، وخنقته العبرة.

وقال جعفرٌ الصَّادقُ: إذا سمعتِ النِّعمةُ الشُّكْرَ، فتأهَّب للمزيد.

﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ أي: جحدتم حقِّي. وقيل: نِعَمي. وَعَد بالعذاب علىٰ الكفر، كما وَعَد بالزِّيادة علىٰ الشُّكر، وحذفت الفاءُ التي في جواب الشرط من (إنَّ) للشُّهرة،: أي: كفر وأشرك[1].

٣- وقوله: تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثم الآية الرابعة جعلها الله بينه وبين عبده؛ لأنها تضمنت تذلل العبد لربه وطلب الاستعانة منه؛ وذلك يتضمن تعظيم الله تعالىٰ»[2].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٣٤٣).

(٢) المصدر نفسه (١/ ٩٤).

ومنها قوله تعالىٰ في معرض ذكر صفات عباده المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾ [الرعد]، قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ أي: طلبَ تعظيم الله، وتنزيهًا له أن يُخالف في أمره، أو يأتي أمرًا كُره إتيانُه، فيعصيه به»[(١)].

ومنها قوله تعالىٰ في قصَّة نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع قومه: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [نوح]، قال أبو السُّعود: «أي: ما لكم لا تؤمِّلون له -تعالىٰ- توقيرًا، أي: تعظيمًا لمن عبده وأطاعه»[(٢)].

ومنها قوله تعالىٰ لمَّا ذكر قصة أصحاب الجنة: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [القلم: ٢٨]، قال الثعالبيُّ: «قيل: هي عبارة عن تعظيم الله، والعمل بطاعته سبحانه»[(٣)].

ومنها حديثُ جبير بن مطعم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، حيث قال: أتىٰ رسولَ الله ﷺ أعرابيٌّ، فقال: يا رسول الله؛ جُهدت الأنفس، وضاعت العيال، ونُهكت الأموال، وهلكت الأنعام، فاستسقِ الله لنا؛ فإنا نستشفع بك علىٰ الله ونستشفع بالله عليك. فقال رسول الله ﷺ: «**ويحك، أتدري ما تقول؟**»، وسبَّح رسول الله ﷺ، فما زال يُسَبِّح حتىٰ عُرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: «**ويحك، إنَّه لا يُستشفع بالله علىٰ أحد من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك**»[(٤)]؛ فالأعرابيُّ لمَّا قال: «فإنا نستشفع بالله عليك»، جعل الله في مقام الشافع عند رسوله، وهذا تنقيص من قَدْره -جلَّ وعلا-؛ ولهذا سبَّح الرَّسول ﷺ، ونبَّه الأعرابيُّ إلىٰ هذا الخطأ الفادح لما قال: «**ويحك! أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك**» إلىٰ آخر الحديث. ولكي نتصوَّر -أخي الكريم- حقيقةَ وكُنْه التَّعظيم؛ فإنَّ علينا أن نتفكَّر في هذا المثال: انظر إلىٰ حال رُفقاء الملوك والأمراء والرُّؤساء، إلَّا مَن رحم الله تجد أحدهم لا يستطيع أن يرد لهذا الملك أو لهذا الرَّئيس أمرًا، ولا أن يرتكب نهيًا، حتَّىٰ وإن كان هذا الأمر والنَّهي يضرُّه في بدنه أو ماله أو أهله، وعند ما نسأله عن سرِّ هذه الطَّاعة العمياء نجد أنَّ تعظيمه لهذا الرَّئيس هو السَّبب الحقيقي لهذه الطَّاعة. إذًا؛ فالتَّعظيم يولِّد في النَّفس

---

(١) جامع البيان (١٣/ ١٤٠).

(٢) إرشاد العقل السليم (٩/ ٣٨).

(٣) الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٤/ ٣٢٨).

(٤) سنن أبي داود، (٤٧٢٦)، وصححه ابن القيم في (تهذيب السنن ٧/ ٩٥-١١٧)، وضعَّفه الألباني في (تخريج كتاب السنة لابن أبي عاصم ١/ ٢٥٢).

الخوفَ من المعظَّم. ولهذا ما فتئ علماء الأمَّة يجتهدون في تذكير النَّاس بمسألة تعظيم الله؛ فها هو شيخ الإسلام محمَّد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ يصنِّف (كتاب التوحيد)، ويقرِّر فيه مسائل العقيدة، ثمّ يختم كتابه بأبواب عديدة كلها تتعلق بتعظيم الله، مثل: (بابٌ فيمن لم يقنع بالحلف بالله)، (باب التَّسمِّي بقاضي القضاة)، (باب احترام أسماء الله)، (باب لا يرد مَن سأل بالله)، (باب قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ [الزُّمَر: ٦٧])[1]، وهذا آخر باب ذكره الشَّيخ في كتابه القيم.

لكن هل نحن معظِّمون لله أم لا؟

للإجابة عن هذا التَّساؤل لا بدَّ أن ننظر إلىٰ حالنا عند الإقدام علىٰ فعل طاعة من الطَّاعات: هل نؤدِّيها رغبة ورهبة، خوفًا وطمعًا؟ أم أنَّ الطَّاعة أصبحت عادة من العادات نعملها كلّ يوم دون استشعار الهدف من أدائها؟ وهل المرأة حين تلبس الحجاب الشرعي تلبسه؛ لأنَّه شرعٌ من الله، أم أنَّه تراثٌ وتقاليدُ؟ كذلك ننظر إلىٰ حالنا عند فعل المعصية: هل نحسُّ كأننا تحت جبل يكاد أن يسقط علينا أم كذبابة وقعت علىٰ أنف أحدنا، فقال بها هكذا؟ كذلك لننظر إلىٰ حالنا أثناء أداء الصَّلاة والقيام لربِّ العالمين، هل نستشعر عظمة مَن نقابله، فنخشع في صلاتنا أم تشغلنا الأفكار والهواجس؟ وهل إذا قابلنا ملكًا من ملوك الدُّنيا صنعنا عنده مثل ما نصنع في صلاتنا؟ إذا أجبنا عن هذه التَّساؤلات بكّل تجرُّد فسنعرف يقينًا هل نحن معظِّمون لله أم لا؟

أخي الكريم!

لنتأمل حال أولئك المعظمين لله تعالىٰ عند قيامهم للصلاة؛ فقد قال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان إذا قام أحدهم يصلي يهاب الرحمن أن يشد بصره إلىٰ شيء، أو أن يلتفت أو يقلب الحصىٰ، أو يعبث بشيء أو يحدث نفسه من شأن الدنيا إلَّا ناسيًا ما دام في صلاته».

وكان ابن الزبير إذا قام في الصَّلاة كأنه عود من الخشوع، وكان يسجد فأتىٰ المنجنيق فأخذ طائفةً من ثوبه وهو في الصَّلاة لا يرفع رأسه.

وكان مَسلمة بن بشار يُصلِّي في المسجد، فانهدم طائفة منه، فقام النَّاسُ وهو في الصَّلاة لم يشعر.

---

(١) الزمر:٦٨.

وكان عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا حضرتِ الصَّلاة يتزَّلْزَل، ويتلوَّن وجهُهُ، فقيل له: ما لك؟ فقال: «جاء والله وقت أمانةٍ عَرَضها الله علىٰ السَّماوات والأرض والجبال، فأَبَيْنَ أن يحملنها وأشفقن منها، وحملتُها».

وكان سعيد التَّنوخيُّ إذا صلَّىٰ لم تنقطع الدُّموع من خدَّيه علىٰ لحيته.

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ إذا دخل في الصَّلاة ترتعد أعضاؤه، حتىٰ يميل يمنةً ويسرةً.

وهذا غيضٌ من فيض من أخبار وأحوال أولئك المعظمين لله، اللَّهم كما رزقتهم تعظيمك؛ فارزقنا إيَّاه يا سميع الدعاء.

بل إنَّ من العجيب أنَّ كفَّار قريش كان في قلوبهم شيءٌ من تعظيم الله، وإليك بعض الشَّواهد علىٰ ذلك:

١- قصَّة عتبة بن ربيعة، حينما قرأ عليه الرَّسول ﷺ فواتح (سورة فصلت)، فلمَّا بلغ قوله تعالىٰ: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾ [فُصِّلَت: ١٣]، وضع يده علىٰ فم رسول الله ﷺ، وناشده الله والرَّحم ليسكتنَّ [(١)].

٢- قصَّة جُبير بن مطعم أنَّه قال: سمعتُ النَّبيَّ ﷺ يقرأ في المغرب بالطُّور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الطور] كاد قلبي أن يطير [(٢)].

٣- كان الرَّسول ﷺ عند الكعبة وحوله صناديد قريش، فقرأ عليهم (سورة النجم)، فلمَّا وصل إلىٰ السَّجدة في آخر السورة؛ سجد فسجدوا معه [(٣)].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ١٥/ ٢٢١.

(٢) صحيح البخاري (٤٨٥٤).

(٣) الرحيق المختوم (١٠٧). والحديث أخرجه البخاريُّ (١٠٧١).

فهذه الشواهد تدل علىٰ أن كفار قريش رغم كفرهم وإشراكهم كان في قلوبهم شيء من تعظيم الله. قال شيخ الإسلام: «والمشركون ما كانوا ينكرون عبادة الله وتعظيمه، ولكن كانوا يعبدون معه آلهةً أخرىٰ»[١]

إنَّ عدم تعظيم الله في القلوب سيُسأل عنه كلّ فردٍ منَّا؛ فلا بدَّ من المحاسبة والمراجعة وتقويم النَّفس والنَّظر في علاقتنا بربِّنا -جلَّ وعلا-. ولعلَّ من أعظم أسباب عدم تعظيم الله ما يلي:

١- الوقوع في المعاصي، وهذه هي المعضلة، وهي السبب في كل بلاء ومحنة وبُعْد عن الله تعالىٰ. قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكفىٰ بالعاصي عقوبةً أن يضمحل من قلبه تعظيم الله جل جلاله وتعظيم حرماته، ويهون عليه حقه، ومن بعض عقوبة هذا أن يرفع الله عز وجل مهابته من قلوب الخلق، ويهون عليهم، ويستخفُّون به؛ كما هان عليه أمره واستخف به»[٢]، وقال بشر بن الحارث: «لو تفكَّر النَّاس في عظمة الله لما عصوا الله».

٢- التَّساهل في أوامر الله؛ فتجد كثيرًا من النَّاس لا يؤدُّون العبادات علىٰ الوجه المطلوب؛ فلو كانوا يعظِّمون الله حقَّ التَّعظيم؛ لعظَّموا أمره كذلك.

٣- عدم تدبّر القرآن حال قراءته، وعدم الوقوف عند وعده ووعيده، وأصبح همُّ القارئ آخر السُّورة فحسب، دون اعتبار للهدف الذي أُنزل من أجله القرآن، قال تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾[ص].

٤- الغفلة عن ذكر الله؛ فتجد أحدنا في المستشفيات أو في إحدىٰ الدوائر الحكومية جالسًا علىٰ كرسي الانتظار زمنًا طويلًا، وهو لا يذكر الله ولا يسبحه ولا يكبره؛ حتىٰ وإن سبَّح وكبَّر، فهو لا يعي معنىٰ هذا التَّسبيح وهذا التَّكبير، وهذه مشكلةٌ لا بدَّ أن نعالجها في نفوسنا.

٥- النَّظر فيما حرَّم الله تعالىٰ؛ فالنَّظر الحرام يولِّد في القلب القَسوة والجَفاء، وهذا لا يتأتَّىٰ مع التَّعظيم؛ لأنَّ التَّعظيم لا يكون إلَّا من قلب خاضع خاشع ليِّن مقبل علىٰ الله بكليته. ولهذا فلا عجب أن يكون السَّلف الصَّالح رضوان الله عليهم من أشدِّ النَّاس تعظيمًا لله؛ لأنَّهم أحرص النَّاس علىٰ طاعته وأبعدهم عن معصيته. قال

(١) مجموعة فتاوىٰ ابن تيمية (٢١/ ٢٨٢).
(٢) الجواب الكافي (٤٦).

القنوجي: «وهم -أي: السَّلف الصَّالح- أشدّ تعظيمًا لله، وتنزيهًا له عَّما لا يليق بحاله»[١]. وقال ابن منده في (كتاب الإيمان): «والعباد يتفاضلون في الإيمان علىٰ قدر تعظيم الله في القلوب والإجلال له، والمراقبة لله في السر والعلانية»[٢].

□

(١) قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر (٤٨).

(٢) كتاب الإيمان (٣٠٠).

المطلب الثالث: الدلالات الوجدانية لتعظيم الله -تعالى- وأثرها التربوي

قد خاطب القرآن الكريم الوجدان في العديد من الآيات قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق]، ويقول الله -تعالىٰ- مخاطبا نبيِّه ﷺ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الفرقان: ٣٢] وهنا اخترتُ بعضًا من الآيات كنماذج لا علىٰ سبيل الحصر، منها:

١- قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد].

هذا الآية وجدانيةٌ صرفةٌ، فمعنىٰ الاطمئنان سكونُ القلب واستقراره، وأُنْسُه إلىٰ عقيدة لا تطفو إلىٰ العقل ليناقشها من جديد. ونعلم أنَّ الإنسانَ له حواسٌّ إدراكية يستقبل بها المُحسَّات؛ وله عقلٌ يأخذ هذه الأشياء ويهضمها؛ بعد إدراكها؛ ويفحصها جيِّدًا، ويتلَّمس مدىٰ صِدْقها أو كَذِبها؛ ويستخرج من كلّ ذلك قضية واضحة يُبقِيها في قلبه لتصبح عقيدةً؛ لأنّها وصلت إلىٰ مرحلة الوجدان المحبّ لاختيار المحبوب.

وهكذا تمرُّ العقيدة بعدَّة مراحلَ؛ فهي أوَّلًا إدراك حِسِّي؛ ثم مرحلة التَّفكَّر العقلي؛ ثمّ مرحلة الاستجلاء للحقيقة؛ ثمّ الاستقرار في القلب لتصبح عقيدة.

ولذلك يقول سبحانه: ﴿تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[الرعد: ٢٨]. فاطمئنان القلب هو النتيجة للإيمان بالعقيدة؛ وقد يمرُّ علىٰ القلب بعضٌ من الأغيار التي تزلزل الإيمان، ونقول لمن تمرُّ به تلك الهواجس من الأغيار: أنت لم تُعْطِ الرُّبوبية حقَّها؛ لأنَّك أنت الملوم في أيِّ شيء يَنَالُكَ.

فلو أحسنتَ أيّها الإنسان استقبال القدر فيما يمرُّ بك من أحداث، لَعلِمْتَ تقصيرك فيما لك فيه دَخْل بأيِّ حادث وقع عليك نتيجةً لعملك، أمَّا ما وقع عليك ولا دَخْل لك فيه؛ فهذا من أمر القَدَر الذي أراده الحقُّ لك لحكمة قد لا تعلمها، وهي خيرٌ لك.

إذن؛ استقبال القدر إن كان من خارج النفس فهو لك، وإن كان من داخل النفس فهو عليك. ولو قُمْتَ بإحصاء ما ينفعك من وقوع القدر عليك لَوجدتَّه أكثرَ بكثير مما سَلَبه منك. والمَثَل هو الشَّابّ الذي استذكر دروسه، واستعدَّ للامتحان؛ لكن مرضًا داهمه قبل الامتحان، ومنعه من أدائه.

هذا الشاب فعلَ ما عليه؛ وشاءَ الله أن ينزل عليه هذا القدرُ لحكمةٍ ما؛ كأنْ يمنع عنه حسَد جيرانه؛ أو حسدَ مَنْ يكرهون أمَّه أو أباه، أو يحميه من الغُرور والفتنة في أنَّه مُعتمِد علىٰ الأسباب لا علىٰ المُسبِّب. أو تأخير مرادك أمام مطلوب الله يكون خيرًا.

وهكذا؛ فَعَلىٰ الإنسان المؤمن أن يكون موصولًا بالمُسبِّب الأعلىٰ، وأنْ يتوكل عليه سبحانه وحده، وأن يعلم أنْ التوكل علىٰ الله يعني: أن تعمل الجوارح، وأنْ تتوكَّل القلوب؛ لأنَّ التَّوكل عملٌ قلبي، وليس عملَ القوالب.

ولينتبه كُلٌّ مِنّا إلىٰ أنَّ الله قد يُغيب الأسباب كي لا نغترَّ بها، وبذلك يعتدل إيمانك به؛ ويعتدل إيمان غيرك.

وقد ترىٰ شابًّا ذكيًّا قادرًا علىٰ الاستيعاب، ولكنَّه لا ينال المجموع المناسب للكلية التي كان يرغبها؛ فيسجد لله شكرًا؛ مُتقبِّلًا قضاء الله وقَدَره؛ فَيُوفِّقه الله إلىٰ كلية أخرىٰ وينبغ فيها؛ ليكون أحدَ البارزين في المجال الجديد.

ولهذا يقول الحقُّ سبحانه: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وهكذا نجد أن مَنْ يقبل قَدر الله فيه، ويذكر أنَّ له ربًّا فوقَ كلِّ الأسباب؛ فالاطمئنان يغمرُ قلبه أمام أيِّ حدَثٍ مهْمَا كان.

وهكذا يطمئن القلب بذكر الله؛ وتهون كُلّ الأسباب؛ لأنَّ الأسباب إنْ عجزتْ؛ فلن يعجز المُسبِّب.

وقد جاء الحقُّ -سبحانه- بهذه الآية في مَعرِض حديثه عن التشكيك الذي يُثيره الكافرون، وحين يسمع المسلمون هذا التَّشكيك؛ فقد توجد بعض الخواطر والتَّساؤلات: لماذا لم يَأْتِ لنا رسول الله ﷺ بمعجزة حِسِّية مثل الرُّسُل السابقين لتنفضّ هذه المشكلة، وينتهي هذا العناد؟

ولكن تلك الخواطر لا تنزع من المؤمنين إيمانهم؛ ولذلك يُنزِل الحقّ -سبحانه- قوله الذي يُطمئِن: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ [الرعد: ٢٨].

والذِّكْر في اللغة جاء لِمَعَانٍ شتّىٰ؛ فمرّة يُطلق الذِّكر، ويُرَاد به الكتاب، أي: القرآن، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ [الحِجر].

ويأتي الذِّكر مرَّة، ويُرَاد به الصِّيتُ والشُّهرة والنَّباهة، يقول تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ٤٤﴾ [الزُّخرُف]. أي: أنَّه شَرَفٌ عظيمٌ لك في التَّاريخ، وكذلك لقومك أنْ تأتي المعجزة القرآنية من جنس لغتهم التي يتكلَّمون بها.

وقد يطلق الذِّكر علىٰ الاعتبار؛ والحقُّ -سبحانه- يقول: ﴿وَلَٰكِن مَّتَّعۡتَهُمۡ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكۡرَ وَكَانُواْ قَوۡمَۢا بُورَۢا﴾ [الفرقان: ١٨]. أي: نُسوا العِبَر التي وقعتْ للأمم التي عاشتْ من قبلهم؛ فنصَر الله الدِّينَ رغم عناد هؤلاء.

وقد يطلق الذِّكر علىٰ كُلِّ ما يبعثه الحقُّ -سبحانه- علىٰ لسان أيِّ رسول: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣﴾ [النحل].

وقد يُطلق الذِّكْر علىٰ العطاء الخيّر من الله.

ويُطْلق الذِّكْر علىٰ تذكر الله دائمًا؛ وهو سبحانه القائل: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢﴾ [البقرة]. أي: اذكروني بالطَّاعة أذكرْكُم بالخير والتَّجليّات، فإذا كان الذِّكْر بهذه المعاني؛ فنحن نجد الاطمئنان في أيٍّ منها، فالذِّكر بمعنىٰ القرآن يُورثُ الاطمئنان.

ويقول الحق سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ٤٣﴾ [الأحزاب].

فكُلُّ آية تأتي من القرآن كانت تُطمئِنُ الرَّسول ﷺ أنَّه صادقُ البلاغِ عن الله؛ فقد كان المسلمون قلّة مُضطهدة، ولا يقدرون علىٰ حماية أنفسهم، ولا علىٰ حماية ذَوِيهم.

ويقول الحقُّ -سبحانه- في هذا الظَّرف: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ٤٥﴾ [القمر].

ويتساءل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أيُّ جمع هذا، ونحن لا نستطيع الدفاع عن أنفسنا؛ وقد هاجر بعضنا إلىٰ الحبشة خوفًا من الاضطهاد؟

ولكن رسول الله ﷺ يسير إلىٰ بدر، ويُحدِّد أماكن مصارع كبار رموز الكفر من صناديد قريش؛ ويقول: (هذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان)؛ بل ويأتي بالكيفية التي يقع بها القتل علىٰ صناديد قريش؛ ويتلو قول الحق سبحانه: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ ١٦﴾ [القلم].

وبعد ذلك يأتون برأْس الرَّجل الذي قال عنه رسول الله ذلك؛ فيجدون الضَّربة قد جاءت علىٰ أنفه.

فمنْ ذَا الذي يتحكم في مواقع الموت؟

إنَّ ذلك لا يتأتَّىٰ إلَّا من إله هو الله؛ وهو الذي أخبر نبيَّنا محمَّدًا ﷺ بهذا الخبر: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ٤٥﴾ [القمر: ٤٥].

وقد طمأنَ هذا القولُ القومَ الذين اتَّبعوا رسولَ الله ﷺ الذي لا يعلم الغيبَ، ولا يعلم الكيفيةَ التي يموت عليها أيُّ كافر وأيُّ جبَّار؛ وهو ﷺ يخبرهم بها وهُمْ في منتهىٰ الضَّعْف.

وهذا الإخبار دليلٌ علىٰ أنَّ رصيده قويٌّ عند علاَّم الغيوب.

إذن؛ فقول الحقِّ سبحانه: ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

يعني: أنَّ القلوب تطمئن بالقرآن وما فيه من أخبار صادقة تمام الصِّدق، لتؤكد أنَّ محمَّدًا ﷺ مُبلِّغٌ عن ربِّه؛ وأنَّ القرآن ليس من عند محمَّد ﷺ، بل هو من عند الله.

وهكذا استقبل المؤمنون محمَّدًا ﷺ، وصَدَّقوا ما جاء به؛ فها هي خديجة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وأرضاها- لم تكُنْ قد سمعت القرآن؛ وما أنْ أخبرها رسول الله ﷺ بمخاوفه من أنَّ ما يأتيه قد يكون جِنًّا، فقالت: «إنَّكَ لتصل الرَّحِم، وتَصْدُق الحديثَ، وتَحْمِلُ الكَلَّ، وتَكْسِبُ المعدومَ، وتقري الضَّيفَ، وتعينُ علىٰ نوائب الحقِّ»(١).

وها هو أبو بكر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأرضاه- يصدق أنَّ محمَّدًا رسولٌ من الله، فَوْرَ أن يخبره بذلك. وهكذا نجده ﷺ قد امتلك سِمَاتٍ؛ وقد صاغ الله لرسوله أخلاقًا، تجعل مَنْ حوله يُصدِّقون كُلَّ ما يقول فَوْر أنْ ينطق. ونلحظ أنَّ الذين آمنوا برسالته ﷺ؛ لم يؤمنوا لأنَّ القرآن أخذهم؛ ولكنهم آمنوا لأنَّ محمَّدًا ﷺ لا يمكن أن يَكْذِبهم القول، وسيرته قبل البعثة معجزة في حَدِّ ذاتها، وهي التي أدَّتْ إلىٰ تصديق الأوَّلين لرسول الله ﷺ. أمَّا الكفار؛ فقد أخذهم القرآن؛ واستمال قلوبهم، وتمنَّوا لو نزل علىٰ واحد آخر غير محمَّد ﷺ. وحين يرىٰ المؤمنون أنَّ القرآن يُخبرهم بالمواقف التي يعيشونها، ولا يعرفون لها تفسيرًا؛ ويخبرهم أيضًا بالأحداث التي سوف تقع، ثمّ يجدون المستقبل وقد جاء بها وِفْقًا لما جاء بالقرآن، هنا يتأكد لهم أنَّ القرآنَ ليس من عند محمّد، بل هو من عند رَبِّ محمّد ﷺ.

ولذلك؛ فحين يُثير الكفَّار خزعبلاتهم للتَّشكيك في محمّد ﷺ، يأتي القرآن مُطَمْئِنًا للمؤمنين؛ فلا تؤثِّر فيهم خزعبلات الكفَّار. والمؤمن يذكر الله بالخيرات؛ ويعتبر من كل ما يمرُّ به، وبكلّ ما جاء بكتاب الله؛ وحين يقرأ القرآنُ فقلبه يطمئِنُّ بذكر الله؛ لأنَّه قد آمن إيمانَ صِدْقٍ.

---

(١) صحيح مسلم (٣٢٢).

وقد لمس المؤمنون أنَّ أخبار النَّبيِّ التي يقولها لهم قد تعدَّتْ محيطهم البيئيَّ المحدود إلىٰ العالم الواسع بجناحَيْه الشَّرقي في فارس، والغربي في الرُّوم. وقد أعلن لهم رسول الله ﷺ علىٰ سبيل المثال خبر انتصار الرُّوم علىٰ الفرس، حين أنزل الحقُّ -سبحانه- قوله: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤﴾ [الروم: ٤].

فأروني أيّ عبقرية في العالم تستطيع أن تتحكم في نتيجة معركة بين قوتين تصطرعان وتقتتلان؛ وبعد ذلك يحدد مِنَ الذي سينتصر، ومنِ الذي سَيُهزم بعد فترة من الزمن تتراوح من خَمْس إلىٰ تِسَع سنوات؟

وأيضًا تأتي الأحداث العالمية التي لا يعلم عنها رسول الله ﷺ شيئًا، وتوافق ما جاء بالقرآن.

وكُلُّ ذلك يجعل المؤمنين بالقرآن في حالة اطمئنان إلىٰ أنَّ هذا القرآن صادقٌ، وأنَّه من عند الله، ويُصدّق هذا قول الحقِّ سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ۝٢٨﴾ [الرعد].

ونعلم أنَّ الكون قد استقبل الإنسان الأوَّل وهو آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ استقبالًا، وقد هُيِّئ له فيه كُلُّ شيء من مُقوِّمات الحياة؛ وصار الإنسانُ يعيش في أسباب الله، تلك الأسباب المَمْدودة من يَدِ الله؛ فنأخذ بها ونترقَّىٰ حياتنا بِقَدْر ما نبذل من جَهْد. وما أنْ نموتَ حتىٰ نصِلَ إلىٰ أرْقىٰ حياة؛ إنْ كان عملُنا صالحًا وحَسُنَ إيماننا بالله؛ فبعد أنْ كُنّا نعيش في الدُّنيا بأسباب الله الممدودة؛ فنحن نعيش في الآخرة بالمُسبِّب في جنَّته التي أعدَّها للمتقين.

وقول الحقِّ سبحانه: ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] يعني: أن الاطمئنان مُستْوعِب لكل القلوب؛ فكل إنسان له زاوية يضطرب فيها قلبه؛ وما أنْ يذكر الله حتىٰ يجِدَ الاطمئنان ويتثبتَ قلبه.

٢- قال تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٦٧﴾ [الزُّمَر].

إن عبارة ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ﴾ الواردة في صدر الآية تعني: أنّهم ما عرفوا الله تعالىٰ حقَّ معرفتِهِ، مستجمعينَ صفات جلالِهِ وجمالِهِ، وما عظَّموه حقَّ تعظيمه؛ إذ تجاهلوا قدرتَهُ المطلقة الغالبة علىٰ كل شيء، ورحمتَه وشفقتَه الأبدية، ونِعَمَهُ وألطافَهُ التي أَنْزَلَها علىٰ

عبادِهِ، فلم يُعَظِّموه بما يليقُ به وبشأنِهِ العظيم سبحانه؛ ولذلك فقد انزلَقُوا في مستنقعِ إنكارِ الجميلِ، وعدم تقديرِ الجليلِ.

ومن عبارة ﴿حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ نفهم أنَّه وإن كان بين هؤلاء الناس من قدَّره وعظَّمه -جلَّ جلاله- بقدرٍ معين، إلَّا أنّهم لم يقدروا ذا الجلال والكمال بالشَّكل الذي يستحقُّه ويليقُ بذاتِهِ العليّة؛ فثمّة فرقٌ بين (مجرد التقدير) و(التقدير بحقٍّ)؛ فالله -تعالىٰ- هو من خلَقَنَا، وجعلنا في أحسن تقويم، ودعانا إلىٰ الصِّراط المستقيم بواسطة الرُّسل والأنبياء، وهدانا إليه، وحَفّزَ هِمَمَنا بما وعدنا به من خيرٍ جزيلٍ، ووجَّه أبصارنا إلىٰ دار القرار، ولم يكِلْنَا إلىٰ أنفسنا طرفةَ عين. ومعرفةُ كلّ هذه الأمور، واحترامُه -تعالىٰ-، وشكره بناءً علىٰ هذا العلم يمثِّل تقديرًا من العبد لربِّه سبحانه وتعالىٰ، وأمَّا خلاف ذلك؛ فهو عمًىٰ وكفرٌ للنِّعمة وعدم تقدير.

وتضرب الذاتُ الإلهيّة مَثلًا علىٰ عظمتها وجلالها بقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾؛ أي: إنَّ الدُّنيا تبدو نقطةً صغيرة، وشيئًا تافهًا بالنِّسبة لقدرة الحقِّ تعالىٰ أيًّا كان حجمُ هذه الدُّنيا وجسامتُها في نظركم، وتعبير الآية عن قدرتِهِ -سبحانه- علىٰ الأرض إنّما يُقدِّم لمن يعيشون فيها رسالةً مفادُها: أنِ «اخضعوا أمام قدرتِهِ القاهرة وإرادتِهِ الباهرةِ، وتحرَّكوا في دائرة الأمر والطاعة».

وتخبرنا الآيةُ بعبارةِ ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ الواردةِ قبل خِتامها: أنَّه -سبحانه وتعالىٰ- سيطوي السَّماوات كطَيِّ السِّجلِّ للكتب؛ فيجعلها مطويّة كالورقِ الملفوف.

أمَّا عبارة ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ التي تُشَكِّلُ فذلكةَ الآية، فتعني: أنَّ الله مُنَزَّهٌ ومُبَرَّأٌ عمَّا يشركُونه به هؤلاء.

بُعْدَا الخشية: المعرفي والوجداني

هناك درجاتٌ مختلفةٌ لتقديرِ الله -تعالىٰ- وإجلالِهِ تتفاوتُ بحسب مدىٰ التعمُّقِ أو السطحيّة في الشُّعور بقدرة الله وعظمته في الكون، ودرجةِ الإحساس بما يغمرنا به من نِعَمٍ وألطاف.

وقد يتبادرُ إلىٰ الذِّهْنِ هنا هذا السُّؤال: «هل هذا التقدير مجرّد معرفة، أم أنَّه يشمل كلّ أعضاء الإنسان بما فيه من لطائف؟»، كما أنَّ المحبة تتشكَّلُ وتنمو في أحضانِ المعرفة؛ فإنَّ الحبَّ مرتبطٌ بالعِلم؛ والأمر هكذا تمامًا إنْ تكوَّنَ في القلبِ شعورٌ بالخشية، أي شعورٌ بالخوف أساسُهُ ومحورُهُ احترامُ الله وتعظيمُه تعالىٰ؛ فمثلُ هذا الشعور يقف وراءه العِلم

بالدَّرجة الأولىٰ، ومن ثم فربما يتحوَّل العلم إلىٰ معرفةٍ وثقافةٍ وجدانيّة، ثم إلىٰ طبيعة في الإنسان وعمقًا من أعماق طبيعته نتيجةً لذلك، والطاعات التي سيؤدِّيها المؤمنُ بعد هذه المرتبةِ تُصْبِحُ أحداثًا تتشكَّلُ بِفِعْلِ ما فيه من دوافع داخليّة، أي إنَّ قول الإنسان: «سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ، اَللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا وَسُبْحَانَ اللهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا» علىٰ سبيل المثال لن يكون لمجرد أنَّه أُمر ووُصِّي بقول هذا فحسب، بل سوف تنبعُ من داخله هذه العبارات التقديريّة والتعظيمية مباشرةً حالَمَا يفيضُ قلبُهُ جَيَاشًا فائقًا بتدبُّرِ الأشياء والحوادث، ومطالعة القدرة القاهرةِ والإرادة الباهرة؛ فيسمو سُمُوًّا يفوقُ شعوره بالامتثالِ للأمرِ.

ومن هذه الناحية يتسنَّىٰ القولُ: إنَّه يمكن للمؤمن أن يُعَبِّرَ عن مشاعرِ تقديرِهِ للقدرةِ القاهرةِ، والإرادةِ الباهرةِ، والمشيئةِ السُّبحانية نظريًّا، غير أنَّ حقيقةَ المسألةِ تكمُنُ في تحويلِهِ هذا التَّقدير إلىٰ بُعدٍ داخليّ، وجعلِهِ جزءًا من طبيعتِهِ، وإلَّا فإنّه سَيُعَبِّرُ عن مشاعر التقديرِ والتعظيمِ لِمُجَرَّدِ أنه أُمِرَ بهذا فحسب، أو حينما وحيثما يُذكَّرُ بذلك.

وأمَّا القلوبُ المؤمنة التي شَكَّلَتْ مَعْسَلَةَ المعرفة في وجدانها بالتفكُّرِ والتدبُّر، هي تلك التي تمتلِئُ وتفيضُ بأحاسيسِ التعظيمِ والتقديرِ في كلِّ مرحلةٍ من مراحل حياتها، بل وفي كل فينةٍ من حياة بعضها، فمثلًا حين يواجه حادثة ما، يرىٰ فيها تجلّي القدرة والعظمة الإلهية، يقول متأثِّرًا بها: «سُبْحَانَ اللهِ»، وحين يرىٰ أنَّه قد غُمِرَ بالنِّعم من مفرق رأسه إلىٰ أخمص قدميه يُردِف من فوره قائلًا: «الْحَمْدُ لله حَمْدًا كَثِيرًا»، ويفيض حمدًا لله تعالىٰ وثناءً عليه، وحين تتراءىٰ أمام ناظريه تلك الإجراءات العظيمة الجسيمة التي تدلُّ علىٰ عَظَمَةِ الله تعالىٰ وجلالِهِ يلهجُ بذكر الله وتعظيمه قائلًا: «اَللهُ أَكْبَرُ».

تأثيرُ الخشيةِ على الفردِ ومحيطِهِ

ثمة حديثٌ نبويٌّ شريفٌ من شأنِهِ أن يُسَلِّطَ الضوءَ علىٰ هذا الموضوع، ألا وهو قول مفخرة الإنسانية ﷺ حين رأىٰ مَن يعبثُ بِلِحْيَتِهِ في أثناء صلاته: «**لَوْ خَشَعَ قَلْبُ هذا لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ**»[1]، فإنَّ كان قلبُ الإنسان عامرًا بشعور الخشية من الله واحترامه حقَّ الاحترام؛ سَرَىٰ هذا في كلّ تصرُّفاته وسلوكيّاته حتىٰ إنه يهيمن علىٰ كلِّ إيماءاته وإشاراته.

---

(١) مصنف عبد الرزاق (٣٣٠٩).

وهكذا فإننا حين ننظرُ إلىٰ تصرُّفات وحركات وسكنات الأشخاص العظام من أصحاب القلوب العامرة بالخشية والتقدير، فإننا نشعرُ ونُحِسُّ بأمارات وانعكاساتِ خشيَتِهم لله تعالىٰ.

وإذا ما خالَطْنَاهم اصطبَغْنَا بِصِبْغَتِهم، وحظينا بالسَّكينةِ والطُّمأْنينةِ؛ فقد عِشتُ تلك المشاعر والأحاسيس التي تشرح صدر الإنسان حين كنت أَشرُف بالوجود في حضرة الشيخ محمَّد لطفي أفندي؛ فهولاء الأشخاص العظام حين يذكرون اللهَ -جلَّ جلاله- والرسولَ ﷺ أو يتصرَّفون بحساسيّة في شتّىٰ المواضيع يبثُّون فيك من الإيمان والإذعان ما تعجزُ الكتب أن تُعبِّرَ عنه، وحالُ الشَّيخ محمَّد لطفي أفندي كان خيرَ مثالٍ لهذا؛ فذات يوم حضر إليه أحدهم، وقال: «سيدي الشيخ! حَجَجْتُ، فوجدتُ أنَّ الكلاب التي في المدينة المنورة قد أصابها -من الإهمال أو من غيره- الجَرَبُ!!»، فلما سمع الشَّيخُ هذا القولَ انتفضَ قائلًا: «اُسكُتْ! فالمدينةُ روحي فداها، بل وحتىٰ فِدىٰ كلابِها الجَرِبة!».

ولا بدَّ أنَّ ما دفعَ فضيلةَ الشيخ لقولِ تلك الكلمات هو تَرَبُّعُ حبِّهِ العميقِ واحترامُه الجمّ لمفخرةِ الإنسانية ﷺ علىٰ عرشِ قلبه، فعبَّرَ الشيخ من فَورِهِ عن هذه الحساسيّة، وهكذا فإن المسألةَ الحقيقيّة الجوهريّة هي إسلامُ المرء نفسَهَ لشلَّالٍ من الخشوع والخشية بحساسيّة عميقةٍ تجاهَ القِيَمِ المقدّسة، وتوجُّهَه إلىٰ حيث يذهبُ به ذلك الشلال.

ومن القيم التي افتقدناها ممَّا يؤسف له: أنَّ غرسَ هذه الأمور في الوجدان هو من أهمّ القِيَمِ التي افتقدناها؛ فقد افتَقَدْنَا نحن -ضحايا الإسلام الشَّكلي- قلوبَنَا، ونَسِينَا ديناميكيَّاتنا الداخلية، ومع أن بعضًا من القِيَمِ المنسوبة إلىٰ الدِّين قد عَلَّمَتْنا -نسأل الله أن يرضىٰ عمَّن علَّمُوها- إلَّا أنّنا اكتفينا بالمعلومات النظريّة والتقليديّة والنقلِ فحسب، دون أن نتمكّنَ من تعلُّمِ القِيَمِ الخاصّة بحياة القلب والرُّوح، ومن ثمَّ لم يتسنَّ لنا أن نعيشها ونحياها، وكما ورد في قول الله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء]، وقوله: ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البيِّنة]؛ فإنَّ امتلاك الإنسان (قلبًا سليمًا) ينقذُهُ في الدَّار الآخرة إنَّما يتحقّق باحترامه اللهَ ربَّه وخشيتِهِ منه سبحانه وتعالىٰ.

وإنَّ عدم تأثُّرِ قلوبِنا بتلك الآية التي تُزَلْزِلُ المنابرَ والمحاريبَ، إنّما هو تعبيرٌ وأمارةٌ أخرىٰ علىٰ حالنا الذي يدعو إلىٰ الحسرةِ والنَّدامة؛ فذات يوم تلا رسول الله ﷺ علىٰ منبره الشَّريف الآيةَ الواردة في هذا السُّؤال -الذي يُشَكّل أساسَ موضوعِنا-؛ فتحرَّكَ المنبرُ تحته ﷺ حتىٰ كاد

يُسْقِطُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من فوقه، ورسول الله ﷺ يقول هكذا بيده، ويحرّكها، يقبل بها ويدبر، ثم قال: «يَأْخُذُ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- سَمَاوَاتِهِ وَأَرَضِيهِ بِيَدَيْهِ، فَيَقُولُ: أَنَا اللهُ -وَيَقْبِضُ أَصَابِعَهُ وَيَبْسُطُهَا- أَنَا الْمَلِكُ»، يقول سيدنا عبد الله بن عمر (راوي الحديث): نظرتُ إلىٰ المنبر يتحرَّك من أسفل شيء منه، حتىٰ إنّي لأقول: أساقطٌ هو برسول الله ﷺ؟![1].

ولو أنّنا لم نفقدْ قلوبَنا وأحاسيسَنا؛ لأَزْعَجَتْها هذه الآيةُ الجليلةُ التي هزَّتْ المنْبَرَ النبويَّ، ودفعَتْنَا إلىٰ الخشيةِ. فندعو الله تعالىٰ أن يوفِّقَنا إلىٰ النَّجاةِ من الشكليّة والسطحيّة، ويمكِّننا من النفوذ إلىٰ الجوهر، وينقلنا من القالب إلىٰ المعنىٰ، وأن يملأ قلوبنا بشعورِ الخشيةِ حتىٰ تُسيطِرَ وتسودَ في كلِّ تصرُّفاتنا وسلوكيّاتنا مدىٰ الحياة.

٣- قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران].

هذه الآية تتكلم علىٰ نعمة عظيمة متمثلة في صفات المؤمنين الصالحين، وبيّن الله -تعالىٰ- هذه الصفات الأخلاقية كي يتسنّىٰ للمسلم اكتساب الجنة بواسطة اكتساب تلك الصفات:

فالصِّفة الأولىٰ: قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾، وفيه وجوه:

الأوَّل: أنَّ المعنىٰ: أنّهم في حال الرَّخاء واليُسر والقدرة والعسر لا يتركون الإنفاق، وبالجملة فالسَّراء هو الغنىٰ، والضَّرَّاء هو الفقر. يُحكىٰ عن بعض السَّلف أنَّه ربما تصدق ببصلة، وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أنّها تصدقت بحبَّة عنب.

والثاني: أنَّ المعنىٰ: أنّهم سواء كانوا في سرور أو في حزن أو في عسر أو في يسر؛ فانّهم لا يدعون الإحسان إلىٰ الناس.

الثَّالث: المعنىٰ: أنَّ ذلك الإحسان والإنفاق سواء سرَّهم بأن كان علىٰ وفق طبعهم، أو ساءهم بأن كان علىٰ خلاف طبعهم؛ فانّهم لا يتركونه.

وإنَّما افتتح الله بذكر الإنفاق؛ لأنّه طاعة شاقّة، ولأنَّه كان في ذلك الوقت أشرف الطاعات لأجل الحاجة اليه في مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين.

الصفة الثانية: قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾، فيه مسألتان:

---

(١) صحيح مسلم (٢٥).

المسألة الأولىٰ: يقال: كظم غيظه: إذا سكت عليه، ولم يظهره لا بقول ولا بفعل، قال المبرِّد: تأويله أنَّه كتم علىٰ امتلائه منه، يقال: كظمت السِّقاء: إذا ملأته، وسددت عليه. ويقال: فلان لا يكظم علىٰ جَرّته: إذا كان لا يحتمل شيئًا. وكلّ ما سددت من مجرىٰ ماء أو باب أو طريق فهو كظم، والذي يُسَدّ به يقال له: الكِظامة والسِّدادة، ويقال للقناة التي تجري في بطن الأرض: كظامة، لامتلائها بالماء كامتلاء القرب المكظومة، ويقال: أخذ فلانٌ بكظم فلان: إذا أخذ بمجرىٰ نَفَسِه، لأنه موضع الامتلاء بالنَّفس، وكظم البعير كظومًا: إذا أمسك علىٰ ما في جوفه ولم يجترّ.

ومعنىٰ قوله: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ الذين يكفُّون غيظَهم عن الإمضاء، ويردُّون غيظهم في أجوافهم، وهذا الوصف من أقسام الصَّبر والحلم، وهو كقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الشورىٰ].

المسألة الثَّانية: قال النَّبيُّ ﷺ: «**من كظم غيظًا، وهو قادر علىٰ أن ينفذه، دعاه الله -عزَّ وجلَّ- علىٰ رءوس الخلائق يوم القيامة، حتىٰ يُخَيِّره الله من الحور العين ما شاء**»(١).

وقال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لأصحابه: «**تَصَدَّقُوا**»، فتَصَدَّقُوا بالذَّهب والفضة والطَّعام، وأتاه الرَّجلُ بقشور التَّمر فتصدَّق به، وجاءه آخرُ فقال: والله ما عندي ما أتصدَّقَ به، ولكن أتصدق بعرضي، فلا أعاقب أحدًا بما يقوله في حديثه، فوفد إلىٰ رسول الله ﷺ من قوم ذلك الرَّجل وفدٌ، فقال ﷺ: «**لقد تَصَدَّقَ منكم رجلٌ بصدقة، ولقد قبلها الله منه، تصدَّق بعرضه**».

وقال ﷺ: «**مَا مِنْ جُرْعَةٍ أَعْظَمُ أَجْرًا عِنْدَ اللهِ، مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ كَظَمَهَا عبدٌ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ**»(٢).

وقال ﷺ «**لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ**»(٣).

الصفة الثالثة: قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾.

قال القفَّال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يحتمل أن يكون هذا راجعًا الىٰ ما ذمّ من فعل المشركين في أكل الرِّبا، فنُهِيَ المؤمنون عن ذلك، ونُدبوا الىٰ العفو عن المعسرين. قال تعالىٰ: عقيب قصَّة الرِّبا والتَّداين: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾﴾ [البقرة].

---

(١) سنن أبي داود (٤٧٧٧).

(٢) سنن ابن ماجه (٤٣٢٩).

(٣) صحيح البخاري (٦١١٤).

ويحتمل أن يكون كما قال في الدِّيَة: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾﴾ [البقرة: ١٧٨].

ويحتمل أن يكون هذا بسبب غضب رسول الله ﷺ، حين مثَّلوا بحمزةَ، وقال: «لأُمَثِّلَنَّ بِهِم»؛ فندب إلىٰ كظم هذا الغيظ، والصَّبر عليه، والكفّ عن فعل ما ذكر أنَّه يفعله من المُثلة، فكان تركه فعلَ ذلك عفوًا، قال تعالىٰ في هذه القصة: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [النحل: ١٢٦]، وقال ﷺ: «**لا يكون العبد ذا فضل حتىٰ يصل من قطعه ويعفو عمن ظلمه ويعطي من حرمه**». ورُوي عن عيسىٰ ابن مريم -صلوات الله عليه-: «ليس الاحسان أن تحسن الىٰ من أحسن اليك ذلك مكافأة إنّما الإحسان أن تحسن إلىٰ مَن أساء اليك».

أمَّا قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾؛ فاعلم أنَّه يجوز أن تكون اللَّام للجنس، فيتناول كلّ محسن، ويدخل تحته هؤلاء المذكورون، وأن تكون للعهد فيكون إشارة إلىٰ هؤلاء.

واعلم؛ أنَّ الإحسان إلىٰ الغير إمَّا أن يكون بايصال النَّفع إليه أو بدفع الضُّرر عنه.

أمَّا إيصال النَّفع إليه؛ فهو المراد بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾، ويدخل فيه انفاق العلم، وذلك بأن يشتغل بتعليم الجاهلين وهداية الضالين، ويدخل فيه: إنفاق المال في وجوه الخيرات والعبادات.

وأمَّا دفع الضَّرر عن الغير؛ فهو إمَّا في الدنيا، وهو: أن لا يشتغل بمقابلة تلك الإساءة بإساءة أخرىٰ، وهو المراد بكظم الغيظ ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾. وإمَّا في الآخرة، وهو: أن يبرئ ذمَّته عن التَّبعات والمطالبات في الآخرة، وهو المراد بقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾.

فصارت هذه الآية من هذا الوجه دالَّةٌ علىٰ جميع جهات الإحسان إلىٰ الغير، ولمَّا كانت هذه الأمور الثَّلاثة مشتركة في كونها إحسانًا إلىٰ الغير؛ ذكر ثوابها، فقال: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ فان محبة الله للعبد أعم درجات الثواب[1].

---

(١) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، تأليف: أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: ٣-١٤٢٠ هـ، ٩/ ٣٦٦-٣٦٧.

الخاتمة والنتائج

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين سيِّدنا محمَّد، وعلىٰ آله وصحبه، وسلَّم تسليمًا كثيرًا،،

وبعد؛ فهاهنا تحطّ بينا الرِّحال لطيِّ صفحات البحث المتواضع الذي جلَّت فيه نعم الله وعظمته، كما أسأل الله العظيم ربّ العرش أن يوفِّقنا لمعرفة الله وتعظيمه، فمن الثمرات العظيمة لمعرفة الله -عزَّ وجلَّ-، أنّها: تُخرجك من الشَّكِّ إلىٰ اليقين، ومن الرِّياء إلىٰ الإخلاص، ومن الغَفلة إلىٰ الذِّكر، ومن الرَّغبة في الدُّنيا إلىٰ الرَّغبة في الآخرة، ومن الكِبر إلىٰ التَّواضع، ومن سوء الطَّوِّية إلىٰ النَّصيحة، فمن خلال البحث توصلتُ لنتائج، منها:

١- إن تعظيم الله يتحقق عن طريق إثبات صفات الله له بشكل يليق بوجهه الكريم، ويكون ذلك بدون تحريفٍ، أو تمثيل، أو تكييف، أو تعطيلٍ.

٢- يعتبر تعظيم القرآن الكريم من الوسائل المهمة لتعظيم الله سبحانه وتعالىٰ، ويكون هذا التعظيم عن طريق تلاوة آيات القرآن الكريم، بالإضافة لتدبّر معانيها، وكذلك العمل بما نصت عليه هذه الآيات من أوامر، ويكون في ذلك اقتداء بالحبيب المصطفي، والسلف الصالح.

٣- تعظيم الرسل والأنبياء، وكذلك تعظيم الحبيب المصطفي ﷺ، وكذلك تعظيم ما ذكره الحبيب في السنّة النبويّة، حيث ذكر الكثير من العلماء علىٰ تعظيم الله لرسوله، ومن بين هؤلاء العلماء: شيخ الإسلام ابن تيمية؛ حيث أكد علىٰ أنّ الله تعالىٰ قد أمر بتوقير وتعزير النبيّ، حيث قال تعالىٰ: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: ٩].

٤- الالتزام الكامل بأوامر الله -سبحانه وتعالىٰ- في المعاملات والعبادات، فأوامر الله هي الطريق السليم لسعادة المرء بالدُّنيا والآخرة، كما أن الالتزام بها يعد دليلًا علىٰ تعظيم الإنسان لله تعالىٰ، وخشيته كذلك، والحرص علىٰ نيل رضاه.

٥- تعظيم الله يكون كذلك بالابتعاد عن كل مجالس السوء، التي يتم فيها ذكر الله تعالىٰ ببعض ما يساء لذاته العليا بالفعل أو بالقول.

٦- ويعتبر الغضب عند انتهاك أيّ حدّ من حدود الله أحد الطُّرق لتعظيم الله.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

١- إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم، تأليف: أبو السعود، الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت.

٢- التعريفات، تأليف: علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط: ١، ١٤٠٥.

٣- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تأليف: محمد بن جرير الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط: ١، ١٤٢٢ هـ-٢٠٠١ م.

٤- الجامع لأحكام القرآن، تأليف محمد شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، ط: ٢، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.

٥- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)، تأليف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٦- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تأليف: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: ١-١٤١٨هـ.

٧- -حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع، تأليف: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي النجدي، ط: ١١-١٣٩٧هـ.

٨- الحجة في بيان المحجة، تأليف: إسماعيل بن محمد الأصبهاني، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، الناشر: دار الراية-السعودية / الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

٩- الرحيق المختوم، تأليف: صفي الرحمن المباركفوري، الناشر: دار الهلال- بيروت ط: ١.

١٠-- مجموعة من الفتاوىٰ، تأليف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: أنور الباز-عامر الجزار، الناشر: دار الوفاء، ط: ٣، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

١١- سنن أبي داود، سنن أبي داود، تأليف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط-محَمَّد كامِل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، ط: ١، ١٤٣٠ هـ-٢٠٠٩م.
١٢- سنن ابن ماجه، تأليف: أبوعبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد، مصدر الكتاب: موقع وزارة الأوقاف المصرية.
١٣- صحيح البخاري.
١٤- صحيح مسلم.
١٥- القاموس المحيط، تأليف: حمد بن يعقوب الفيروزابادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ط: ٨، ١٤٢٦ هـ-٢٠٠٥م.
١٦- قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، تأليف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد-المملكة العربية السعودية، ط: ١، ١٤٢١هـ.
١٧- كتاب الإيمان، للحافظ محمد بن إسحاق بن يحيىٰ بن منده، ملاحظة: من الرسائل الجامعية من الجامعة الإسلامية.
١٨- لسان العرب، تأليف: محمد بن مكرم بن علىٰ، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، الناشر: دار صادر-بيروت.
١٩- مجموع الفتاوىٰ، تأليف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: أنور الباز-عامر الجزار، الناشر: دار الوفاء، ط: ٣، ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥ م.
٢٠- مختار الصحاح، تأليف: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق محمود خاطر، الناشر مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٤١٥ – ١٩٩٥.
٢١- مصنف عبد الرزاق.
٢٢- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، تأليف: أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: ٣-١٤٢٠هـ.